عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد01 - جويلية 2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال 10.54239/2319-021-001-009 (DOI)

# هجرة علماء الجزائر نحو تونس خلال القرن(12ه/18م ومطلع 13ه/19م)"الأسباب والنتائج".

# The migration of Algerian scholars to Tunisia during the AH 12th / AD 18th century and early AH 13 / AD 19th) "the reasons and results"

**ط.د.فاطمة الزهراء صولي***
**/مخبر المخطوطات/قسم التاريخ**
**جامعة الجزائر2/الجزائر**
fatimazohra.saouli@univ-alge2.dz
**د. أرزقي شويتام/مخبر المخطوطات/قسم التاريخ**
**جامعة الجزائر2/الجزائر**
achouitem@hotmail.com

**تاريخ الإرسال: 2021/11/24 تاريخ المراجعة:2021/12/05 تاريخ القبول:2022/03/27**

**الملخص:**

يدور موضوع هذا البحث حول هجرة عددٍ كبيرٍ من طلبة العلم والعلماء الجزائريين الّذين قصدوا الحواضر التّونسيّة خلال العهد العثماني؛ لتحصيل العِلم أو التَّدريس، أو تقلُّد بعض المَناصب الرفيعةً، كالإمامة والخطابة والقّضاء؛ فحيثما ساقتهم أقدامهم، وأهدافهم تواجدوا، سواءٌ لطلب الّعلم أو الّحج أو هروبًا من ظروفٍ سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة قاهرة، فالانتماء إلى الحضارة العربيّة الإسلاميّة؛ ذات المشارب الدِّينيّة واللّغويّة والتَّاريخيّة الواحدة كان يَغلُب على الإنتماء الجغرافي الضَّيّق، والبُعد عن الأهل والأصحاب، و تَكبُّد مشّاقِ

*ط.د. فاطمة الزهراء صولي، جامعة الجزائر 2.

السَّفر، و التِّرحال كان سِمَة عُلماء ذلك العصر، على الرغم من حالة الفقر التي أحاطت بمُعظم العلماء الجزائريين.

**الكلمات المفتاحيّة:** هجرة، العلماء، الجزائريون، تونس، جامع، الزيتونة، العهد، العثماني.

**Abstract**

The topic of the research revolves around the immigration of a large number of knowledge seekers and Algerian scientists who headed to Tunisian cities during the Ottoman era, in order to learn, to teach, or to get some high positions such as imamating, public speaking, and judiciary, so wherever they were led by their interests or goals, they were found whether for seeking knowledge or pilgrimage or to escape from compelling political, economical or social circumstances; because belonging to an Islamic Arabic civilization that has many religious, linguistic and historical features were dominant on the tiny geographical affiliation, distancing from family and mates and taking the trouble to travel, and traveling was one of the features of the scientists back then, despite the poverty situation that surrounded the most Algerian scholars.

**Key words**: the migration, of scholars, the Algerians, Tunisia,mosque ,zaytuna, the Ottoman, era.

**مقدمة:**

تَكاد تُجزم المصادر التّاريخيّة المحلّيّة، وخاصّة التّونسيّة مثل: «ذيْل بشائر أهل الإيمان»؛ لحسين خوجة، و«الحلّل السّندسيّة»؛ للوزير السرّاج ، و«الكتاب الباشي»؛ للوزير حمودة بن عبد لعزيز، و«الإتحاف»؛لابن أبي الضيّاف، و الجزائريّة، منها: تقيدات ابن المفتي، ومذكرات أحمد الشريف الزهّار،أنّ العلاقات بين الجزائر وتونس خلال القرن (12ه/ 18م)، ومطلع القرن (13ه/19م) كانت في الغالب مُتوتّرة؛ بسبب التّدخُّلات العسكريّة بين الأيالتين، خاصّةً حُكَّام الجزائر العثمانيّين الّذين أرادوا فَرض التَّبعيّة على تونس ولو بالقوّة، والتَّدخُّل من حين لآخر لِتَنصيب حَاكِمٍ أو لِعَزل آخر.

لكنّ كُتب التَّراجُم رَصَدت لنا نوعًا آخر من العلاقات الثّقافيّة والهِجرة المتبادلة بين علماء الأيالتين، خاصّة الجزائريّة نحو تونس والتي كانت بملامح أخرى خلافًا للعلاقات السّياسيّة المتوتّرة بين حُكّام البلدين، وهذا ما ستركّز عليه دراستنا في هذه الورقة البحثيّة للكشف عن خبايا هذه الصِّلات العلميّة المُتجَذِّرة التي ربطت عُلماء الجزائر بالحواضر العلميّة التّونسيّة خلال الفترة الحديثة، وخاصّة القرن (18م ومطلع 19م (13/12هـ)، وهذا ما يقودنا إلى طرح **الإشكاليّة التاليّة: ما هي العوامل التي تسبّبت في هِجرة عُلماء الجزائر نحو تونس، خلال العهد العثماني(القرن18 ومطلع19م)؟، وما نتائج هذه الهِجرة على البلدين؟.**

وللإجابة على هذه الإشكاليّة اِتّبعنا المنهج التاريخي السردي، والوصفي الذي يهتمّ بوصف الحادثة التاريخيّة، كما أوردتها المصادر، وكتب التراجم، إضافة إلى المنهج التحليلي، لكونه يبحث في أسباب حدوث الظاهرة التاريخيّة، و يعمل عل معرفة النتائج المتوصّل إليها، و تحليلها تحليلًا تاريخيًا.

والهدف من هذه الدراسة هو، تتبّع ظاهرة هجرة علماء الجزائر نحو تونس في مرحلة تاريخيّة معيّنة، بقصدِ الوقوف على أهمّ الأسباب التي دفعت بهؤلاء العلماء إلى مغادرة البلد، وأهمّ النتائج التي ترتّبت عن هذه الهجرة.

**1- تعريف الهِجرة:**

**1-1- تعريف الهِجرة لُغَةً:**

ذُكر لفْظ الهِجرة في بدايته على نحو ، هَجَره، يَهْجُرُهُ، هَجْراً، وهِجْراناً؛ أي: صَرَمَه، وهما يَهْتَجِرانِ، ويَتَهاجَرانِ،..والهَجْرُ ضدَّ الوَصلِ.(ابن منظور، (دت)، صفحة 251).

**1-2- تعريف الهِجرة اِصطلاحاً:**

اتّفق أغلب اللغويين على أنّ مُصطلح الهِجرة هو الخروج من أرضٍ إلى أرضٍ، أي: تَرك الوطن والانتقال إلى مكان غيره (الزمخشري، 1960، صفحة 1049)، ويسمّى المهاجرون مهاجرين؛ لأنّهم تركوا ديّارهم ومساكنهم التي نشؤوا فيها لله، ولحقوا بالمدينة، وهي دارٌ ليس لهم فيها أهلٌ ولا مال، وهكذا ارتبطت كلمة الهجرة في الإسلام بهجرة المسلمين مع الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة، وأصبح كلّ مَنْ فارق

بلده، من بدوي وحضري، وسكن بلدًا آخر يُعدُّ مُهَاجِراً، ومنه اِشتُقَّت كلمة الهِجرَةُ.(ابن منظور، (دت)، الصفحات 250-251).

**2- أنواع الهِجرة:**

كانت هِجْرَةُ المسلمين الأوائل هي، الخروج من دار الكُفر "مكة" إلى دار الإيمان "المدينة" هروبًا بدينهم من الظُّلْم والاضْطِهاد الذي مُورس عليهم، ومُنذ ذلك التَّاريخ بدأت ظاهرة الهِجرة تتأصّل في المُجتمع الإسلامي، خاصة بين أطيافه، ونُخَبه المثقَّفة ،و يمكن تقسيم الهِجرة إلى نوعين بارزين هما:

**2-1- الهِجرة الطَوْعِيّة(المؤقّتة):**

وهي الذَّهابُ بنيّة العودة؛ أي: التَّنقُل لقضاء أيّ غرضٍ عن طَواعِيّة، وهو ما يُصْطَلَحُ عليه باسم "الرِّحلة"، سواءٌ كانت لغرضٍ علمي من أجل الاستزادة وطلب الإجازة أو لغرضٍ ديني بهدف الحَجّ ..وهناك عددٌ كبيرٌ من علماء الجزائر قام بها، لكن الذَّين دَوَّنُوها قليل، وأبرزهم، الحسين الورثيلاني الذي حَجَّ عِدَّة مَرَاتٍ، آخرها كانت في عام (1179هـ/1765م)(الورثيلاني، 1974، الصفحات 1-716).

وهناك الرحلات السفاريّة الدبلوماسيّة من أجل تجديد العهود وتقويّة العلاقات و تبادل الهدايا، والتي برز فيها بشكلٍ كبيرٍ علماء المغرب الأقصى، وكانوا رائدين في هذا المجال مثل، رحلة التمكروتي، نهاية القرن 16م، ورحلة أبي القاسم الزيّاني نهاية القرن18م نحو الباب العالي(سعد الله أ.، 2003 ب، صفحة 153).

**2-2- الهجرة النهائيّة(الأبديّة):**

وهي الذَّهاب بِنيّة الاستقرار، وعدم العَّودة، وغالباً ما تكون أسباب هذا النوع من الهجرة سياسيّة، هدفها الهروب من الفِتن والحُروب وضغوطات الحُكام و السَّاسة مثل، رحلة عُلماء تلمسان نحو فاس في أواسط القرن 16م، جَماعَاتٍ، وفُرَادَى، بسبب سُقوط الدَّولة الزَّيانيّة( التي حكمت 1235-1550م)، والتي كانت عاصمتها تلمسان حاضرة العلم والعلماء لزمنٍ طويل(محمد ا.، 2016، الصفحات 219-222).

أو الهجرة لظروفٍ اقتصاديّة قاسيّة أو لطموحاتٍ شخصيّة من أجل العمل وطلبِ الرزق، وأملًا في ارتقاء المناصب والتقرّب من السلطة وأصحابها أمثال، أحمد

التيجاني، زعيم الطريقة التيجانيّة الذي هاجر نحو المغرب الأقصى (سنة 1757م) فرارًا بنفسه وطريقته من ضغط العثمانيّين بالجزائر(تلمساني، 1997-1998، صفحة 74،21).

كما هاجر أحمد بن عمّار الجزائري نحو تونس (عام 1781م) بنيّة الإستقرار ، واتَّصلَ بِحَاكِمِها، وبَقي فيها مُدَّةَ ثمانيّة سنواتٍ، ثمّ اتّجه نحو الحرمين الشريفين وهناك توفيّ، وغَيره كثِيرٌ ؛ مِمَن ضاقت به سُبل الحياة بالجزائر، وخرج مُهاجرًا بحثًا عن حياة أفضل(سعد الله أ.، 2007، صفحة 224).

**3- أسباب هجرة علماء الجزائر نحو تونس خلال القرن (18ومطلع 19م/12 و13ه):**

هناك مجموعة من العوامل كانت وراء هذه الهِجرة العلميّة لنخبة الجزائر نحو تونس، نحاول إيجازها فيما يلي:

**3-1- التّقارُب الجغرافي:** لطالما كان "للجغرافيا التّاريخيّة" دَورًا كَبيرًا افي دِراسة التّطوُّر التّاريخي لظاهرة اجتماعيّة معيّنة مثل، حركات السّكّان المختلفة، وتنقّلاتهم من منطقة لأخرى، وتَمُدُّنا بمعطياتٍ إحصائيّة مُهمّة جدًا يُمكن توظيفها في دراسة وتحليل هذه الظّواهر التّاريخيّة(حلاّق، 1986، صفحة 78)، ولذلك نقول بأنّ مُعظم العلماء والطلبة الجزائريين الّذين يقطنون على طول الشّريط الحدودي مع تونس مثل:( عنابة، بلاد زواوة، قسنطينة، بلاد الزّاب، وادي سوف، ورقلة، بني ميزاب) تنقّلوا إلى تونس من أجل طلب العلم أو الوظيفة، والسّبب ليس لأنّ جامع الزّيتونة أفضل من الجامع الكبير بمدينة الجزائر، ولكنْ لأنّ تونس أقرب جغرافيًا للمناطق الشّرقيّة الجزائريّة مقارنةً بمدينة الجزائر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ منطقة(عنابة،بجاية،قسنطينة،بسكرة، تقرت)تاريخيًا كانت تحت النّفوذ الحفصي (حكمت بتونس بين1229-1574م) أيّام ضعف الدّولة الزّيّانيّة(هلايلي، 2015، صفحة 199) ،فكفاءة مشائخ الجامع الكبير بمدينة الجزائر ودروسه مَشهُود لها بالفضل، والتَّمكُّن من طرف عِدَّة عُلماء، حتّى من خارج الجزائر(بالحميسي، 1979، صفحة 116).

وبالنسبة للعلوم، فنفسها كانت تُدَرَّس بالجزائر أو المغرب الأقصى أو تونس، وحتّى بالمشرق تكاد تتشابه(العلوم الشّرعيّة، والصّوفيّة، والأدبيّة، وما يَمُتُّ لها

بِصِلة)(سعد الله أ.، 2007، صفحة 9)، فالسّبب إذن في هذه الحركة العِلمِيَة الدَّؤُوب نحو تونس، والتي رَصَدْناها كان عَامِلُ القُرب الجغرافي بالدّرجة الأولى، وليس عَامِلُ التَّفَاضُلِ بين المراكز العِلمِيّة أو مَشَايخِهَا، ولِدَعم هذا الرّأي أَحْصَينَا خلال(القرن 18م ومطلع 19م (12-13هـ) عدد كبير من علماء المناطق الشّرقيّة للجزائر، وطَلَبتِهَا قصدوا تونس؛ إمّا لِأَخذ العُلُوم والإجازة أو لِلتَّدرِيس وتَقَلُّدِ الوظائف هناك، وسَيتِمّ تَرْتِيبهم حسب تاريخ الوفاة، ونبدأ بمجموعة من العلماء ترجم لهم حسين خوجة (ت1732م)- أبرز مُؤرّخ تونسي مع مطلع القرن(12هـ/18م) .

-**أحمد بن عمران:** أصله من خنقة سيدي ناجي(الورثيلاني، صفحة 117) قصد بلاد المغرب، وتفقّه في الكثير من العلوم، ثمّ قصدَ تونس مطلع القرن (12هـ/18م)، وتَصدّر لِلْتَّدرِيس، وعيّن له حضرة الأمير(حسين بن علي حكم 1705-1735م) مُرتّبًا و هِبات، وقد أثنى عليه حسين خوجة، ووصف درسه بالعظيم، وذكر قَبول الناس له و مَدحِهم لِحلْقَتِه(خوجة ، د.ت، صفحة 83).

-**عثمان الأوراسي:** قرأ على علماء بلاده، ثمّ رحل إلى تونس، وأخذ عن شيوخها مثل، "محمّد المغراوي"، و"علي شُعَيب"، و"محمّد بن عمران"، والّذي هو الآخر رُبّما يكون من خنقة سيدي ناجي أولَهُ قَرابَةً بالشّيخ أحمد بن عمران سابق الذّكر، عاصر المؤرّخ"حسين خوجة" عثمان الأوراسي، ومدحه حين وصفه ب: "العالم الفاضل .. الذي له مشاركة في جميع العلوم"(ص.83)، كما ورد اسمٌ آخر هو، **عبد الله محمّد الأوراسي** الّذي ذُكر اسمه في وثائق تعود إلى عهد حسين بن علي منها: رسم يعود إلى عام(1122هـ/1710م) وُصف فيه بالفقيه العدل، ورسم آخر بتاريخ (1143هـ/ 1731م)يصفه بأنّه قاضي محلّة حسين بن علي، وهذا يدلّ على أنّه اِشْتَغل بِالتَّوثِيق والعدالة مُدّةً طويلة قبل أن يتولّى القضاء(السّعداوي، 2015، صفحة 101).

-**أحمد العمري**: وُلد بخنقة سيدي ناجي؛ حفظ القرآن، وحصّل على علم الفقه والبيان والحديث بمسقط رأسه في زاويتهم، ثمَّ رحل إلى تونس، وتصدَّر للتَّدريس بجامع الزّيتونة، ويصفه حسين خوجة الّذي عاصره، وكان مقرّبًا منه:«... وله درسٌ عظيمٌ يُقْرئ فيه مختصر الشّيخ الخليل، وألفيّة ابن مالك...، وهو من إخواننا المحبّبين»، ولقد أكرمه

الأمير حسين بن علي، ورتّب له عادات، ومرتّبات يتحصّل عليها في أوقاتها.(خوجة ، د.ت، صفحة 136).

**-محمّدالعنابي الضّرير**: وُلد ببلد العنّاب، وتلقّى تعليمه الأوّل بالجزائر، ثمّ رحل إلى تونس، وطاف بحواضرها العلميّة، وتمَهَّر في العلوم العقليّة والنّقليّة، وتَصَدَّر لِلْتَّدريس بتونس، وأخذ عنه أحد أفراد "عائلة الرّصاع" المعروفة بالعلم بتونس، و ذات الأصول الجزائريّة.(خوجة ، د.ت، صفحة 152).

وهؤلاء العُلماء الّذين زَارُوا تونس مطلع القرن(12هـ/ 18م)، وترجم لهم حسين خوجة، و عاصرهم، وذَكر تواريخ ميلاد بعضهم، لَكِنَّهُ لم يُورِد تاريخ وفاتهم، وهذا يدلّ على أنّهم كانوا لا يزالوا على قيد الحياة عند تأليفه لِكِتابِه"ذيل بشائر أهل الإيمان " (عام 1725م)(خوجة ، د.ت، صفحة 202).

**-يوسف بن محمّد المصعبي المليكي(أبو يعقوب) الأب(ت1187هـ/1773م)**:ولد بغرداية (بالجنوب الجزائري)، ثمّ سافر مع والده إلى جِربة عام (1692م) أخذ عن مشايخها، ثمّ انتقل إلى مدينة تونس عام(1701م) ليستزيد من العلم، ثمّ رحل إلى مصر، وحضر دروس الأزهر، ثمّ عاد ليستقرّ بجِربة، وقد مُلئ علمًا، وصار مُفْتي الجزيرة، وكبير علمائها، ورئيس مجلس الحُكم فيها ، ولازم التّدريس بالجامع الكبير بجِربة، كان مُهاب الجانب من طرف الحُكَّام، جريئًا في قول الحقّ، آيةً في العلوم، واعتبره حُكّام الدَّولة العثمانيّة مُمَثّل إباضيّة المغرب الإسلامي وزعيمهم، وله معرفةٌ جيّدة بالفلك والكيمياء، وتخرّج على يده الكثير من علماء الإباضيّة والمالكيّة، وتوفيّ بجِربة(بابا عمي و اخرون، 2000، صفحة 492).

**محمّد بن يوسف بن محمّد المصعبي المليكي الجربي الابن(ت1207هـ/1792م)**:هو ابن يوسف المصعبي سابق الذّكر ، وُلد، ونشأ، ومات بجربة ، أخذ العلم عن والده و عن غيره من علماء جربة، تولّى منصب والده في جميع المَهَام بالجزيرة، من رِئاسة مجالس التّعليم، والحُكم، والتَّدريس، والفتوى بالجامع الكبير، وكان من الأقطاب الّذين لهم شأن، ودورٌ في أمور عصرهم بجربة(بابا عمي و اخرون، صفحة 406).

**يحي بن صالح بن يحي الأفضلي(أبو زكرياء):**هناك اختلاف حول تاريخ وفاته بين عاميْ (1788 أو 1808م)، ولا ندري أيُّهما أَصحّ، وما يهمّنا أنّه من أعلام (القرن 18م)، فهو من كبار علماء وادي ميزاب، تلّقى تعليمه الأوّل في غردايـة، ثمّ قصد جربة بتونس وتفرّغ للعلم اثنتي عشرة سنة متّصلةً، ثمّ رحل إلى مصر ، و منها عاد إلى موطنه، وشرع في وضع أسّس نهضةٍ إصلاحيّة شاملة، وأشرف على تكوين جحافلٍ من الطلبة قادوا الحركة الإصلاحيّة منهم، ابنه موسى، والشّيخ ضياء الدّين عبد العزيز الثّميني الّذي اعتبره أبو القاسم سعد الله مثل، الونشريسي،حيث يمكن قياس عمله في الفقه الإباضي بعملِ أحمد الونشريسي في الفقه المالكي(سعد الله ا.، 2007، صفحة 74).

**-محمّد الحفصي القسنطيني(ت نحو 1226هـ/1811م):**حافظ للحديث من كِبار فُقَهاء المالكيّة في وقته دَرَس بتونس، ثمّ رجع إلى قسنطينة، فتولّى القضاء بها، وبها توفيّ(الوزير السرّاج، 1985، صفحة 688).

**-عمّار الشّريف القسنطيني:(ت1241هـ/1825م):**أَدِيبٌ، قَاضٍ، أصولي، بياني، مُشارك في عِدَّة علوم، هو من أهل قسنطينة، دَرَس بجامع الزّيتونة، ثمّ عاد إلى قسنطينة، وُلّيّ قضاءها مرّتين، وتَقلَّد نظارة الأوقاف والخطابة بجامع رحبة الصّوف، وتوفيّ بقسنطينة(النيفر، 1996، صفحة 549).

**-محمّد صالح الرَّحموني الزّواوي(ت1242هـ/1826م):**أديبٌ لغوي؛ تَعَلَّم بتونس، ثمّ عاد إلى وطنه، فاشتغل بالتّدريس في بلاد القبائل، وتوفيّ بها(ابن محمّد مخلوف، 1930، صفحة 382).

**3-2-العامل الدّيني والعلمي:** تُعدّ تونس مَحَطّةً أساسيّة في طريق الحُجَّاج الجزائريين: ذهابًا وإيّابًا، عَبَرها عددٌ كثيرٌ من العُلماء، وخَلَّدت رَحلاتُهم أخبار الحواضر الدّينيّة والعلميّة مثل،(جربة، صفاقص،جامع الزيتونة...)التي توقّفوا بها لِلرَّاحة، وللعلم والمُناظرة، وحتّى للدَّرس والفتوى أو الإجازة ، لأنّه أثناء رحلة العودة كان بقاء بعض العلماء بتونس، وتخلّفهم عن ركب الحجاج يعتبر فرصةً ثمينةً لزيارة المساجد و الزوايا و مجالسة العلماء و الفضلاء و مناقشتهم في بعض المسائل العلميّة، وهذا ما جعل كتب الرحلات الحجّيّة تعتبر من المصادر التاريخيّة بالغة الأهميّة حول نشاط و تاريخ هذه

الحواضر، وسنكتفي بذكر علماء القرن (18م ومطلع 19م (13/12هـ) فقط تقيّدًا بالفترة المدروسة.

-**مصطفى الرُّماصي** (ت حوالي1136هـ/1724م)؛ عَالمٌ من فُقهاء المالكيّة، من أهل رُماصة؛ إحدى قرى مستغانم؛ تَعَّلم بِمازُونة، ثمّ رَحل إلى القاهرة لطلب العلم مرورًا بتونس؛ وصفه عبد الرّحمن الجامعي، بحامل راية الفقه المالكي في عصره، ومصره(ابن محمّد مخلوف، 1930، صفحة 334).

-**محمّد بن عبد الرّحمن التّلمساني(ت بعد 1199هـ/1779م)**:وُلد بتلمسان، عاش خلال القرن (12هـ/18م)؛ قاضٍ، وفقيه؛ لُغَوي، ومُؤرّخ، نَشأ، وتَعلَّم بتلمسان، وقام برحلتين إلى المشرق خلال (القرن 18م)، وتوقّف خلالهما بتونس، ولمّا عُزل من القضاء بتلمسان رحل إلى المشرق، وتوفيّ هُناك، يَنعتُه تلميذه "أبو رأس النّاصر" بـ:" شيخنا .. محمّد بن عبد الرّحمن التّلمساني القاضي ... ولمّا عُزل عن القضاء والمناصب التي تُحمد، وتُرْتضى .. ونَمَت به رفعته إلى الرّحلة إلى المشرق .. ولحِق بالحرمين الشّريفين .. فعَبد الله .. حتّى أتاه اليقين"، كما خلّف محمّد بن عبد الرّحمن مؤلّفًا واحدًا هو: "الزّهرة النّائرة فيما جرى في الجزائر، حين أغارت عليها جنود الكفرة" أكمله عام(1193هـ/1779م)، وصَف فيه واقعة "أوريلي" على مدينة الجزائر عام (1189هـ/1775م)(نويهض، 1980، صفحة 81).

-**الحسين الورثيلاني(ت1193هـ/1779م)**:وُلد بمنطقة وُرثيلان، بالقبائل(شرق الجزائر) وبها توفيّ،من أسرةٍ علميّة مرابطيّة (أهل الطُّرُق)، تشرّب من ثقافة عصره في المدرسة القرآنيّة التي كان يُديرها وَالِدُهُ، حيث حفظ القرآن، ثمّ تَعلَّم الفقه، والنحو والتَصُوّف، والتَوحيد، اللّغة، والتّاريخ بالزوايا الموجودة بِمَنطِقَتِه، حتّى أصبح مثل وَالِده، وَجَدِّه من عُلمَاء المنطقة، وشيخ الطّريقة الشّاذليّة بزاوية الأسرة، وإمتهن التَّدريس، عاش الورثيلاني زَاهدًا مُتقَشِّفًا، وحَجَّ ثلاث مرّات الأولى: عام (1153هـ/1740م) ، والثّانيّة: عام(1166هـ/1753م)، والثّالثة عام (1179هـ/1765م) (سعد الله أ.، 2007، صفحة 994)، وخلال حَجَّاتِه كان يتوقّف في مدن وزوايا ومساجد وطنه، وتونس، ومصر، والحجاز؛ من أجل الزّيارة، والعِلم، كما زَوّدَتنا رِحلته الحِجازيّة بالكثير من المعلومات،

خاصّةً ما يَهُمُّنا مَجَالِسُ العلم في كلٍّ من جِربة وقابس، وسوسة، وجامع الزّيتونة بمدينة تونس، ويذكر بالتّفصيل تلك المجالس، ومَاذا تُدَّرِس، فيقول على سبيل المثال، « فكنتُ أمْلي على بعض فضلاء جربة وعلمائها ...» كما تباحث مع علماء قابس بعض النّوازل والعلوم، أمّا جامع الزّيتونة، فذَكر أنّه كان يَعُجُّ بالعلماء والطلبة، واِعتَرَف بعَدَم قُدرَتِه على عَدِّهم ولا حَصْرِهم لكثرتهم (الورثيلاني، 1974، الصفحات 653-661).

**-عبد الرّزاق بن حمادوش(ت حوالي 1197هـ/1783م):**هناك شَخصيات سَنُفَصِّلُ نوعًا ما في مراحل حَياتِها؛ لأنّها مُهِمَّة ومُتَميزَة، فعَالِمُنا هذا من بينهم، وُلد بالجزائر وتلقّى تعليمه الأوّل بها، واهتمّ مثل علماء عصره بالفقه، والنّحو، والتَصوُّف، والأدب والتّاريخ(العلوم الشّرعيّة واللّغويّة):(قراءةً وإجازةً)، لَكِنَّه تَميَّز عن غيره بِمَيْلِه للعلوم العقليّة(الرّياضيات، الطّب، صناعة الأعشاب، الفلك، الكيمياء، السّيمياء، المنطق، حساب)، واِستطاع أن يُؤلِّف في كلّ هذه العُلوم؛ بل أكثر من ذلك، ويُجَرّبها(ابن حمادوش، 1983، صفحة 77)،وتعلّم ابن حمادوش عن طريق الدَّرس والإجازة، إضافةً إلى كَثرَة الأسفار، وَدِقَّةُ الملاحظة، عاش فقيرًا، على الرغم من أنّه حاول الجَمع بين العِلم والتِّجارة، لكنّ الحظّ لم يُحالفه لِأَنَّهُ كما قال: "كان لا يفارق الكتب، ولم يتمكّن من شقّ طريقه إلى الثّروة مثلما فعل بعض العُلماء المُتَّصلون بالسُّلطة"(سعد الله ا.، 2007، صفحة 425).

عَاصر ابن حمادوش مُعظم أحداث القرن(12هـ/18م)، سواءٌ بالجزائر أو خارجها في المغرب، وتونس، ومصر، والحجاز، حيث مَرَّ بتونس عام (1130هـ/1718م)، وهو مُتوجّه إلى الحَجّ،وأخذ عن عُلمَائِها مثل، محمّد زيتونة ، ترك ابن حمادوش عِدَّةَ مُؤلّفاتٍ يَغْلُب عليها الطَّابِع العِلْمِي أكثر من الفقهي والأدبي الّذي شَاعَ لدَى عُلمَاء عَصْرِه، فَلَهُ ثمانيّة عشر مُؤَلّفًا؛ ما بين طبٍّ، وأعشابٍ، وحسابٍ، وفلكٍ...، هذا إضافة إلى تآليف أخرى في المنطق، والنّحو، والأدب، والرّحلة(ابن حمادوش، 1983، الصفحات 9-10).

**-أحمد بن محمّد بن سحنون الراشدي (ت بعد عام1211هـ/1796م):**هو من مواليد النّصف الثّاني من القرن (12هـ/18م)؛ نشأ بمعسكر، وبها تولّى وظيفة الكتابة للدّاي محمّد الكبير؛ باي الغرب في المدّة(1193-1211هـ/1779-1796م)، كما تولّى تدريس

طلبة الرّباط أثناء محاصرة الباي لوهران عام(1203هـ/1789م)، وخلال هذه المدّة شَدَّ الرِّحال إلى المشرق للحَجّ، وأثناء عودته توقّف بجزيرة جِربة التّونسيّة للرّاحة وللعلم، فبلغه أخبار مُحاصرة الباي محمّد الكبير لمدينة وهران – التي كانت مُحتلّة من الإسبان- فبدأ في تنظيم أرجوزةٍ حول فتح وهران عام(1206هـ/1791م) موضوعها الإشادة بفاتحها محمّد الكبير، وهو بجِربة، وأتمّها مع فتح وهران، ثمّ شرحها في كتابه المشهور«الثّغر الجُماني»، وقدّمه للباي(سعيدوني، 1999، صفحة 439).

-**أحمد التّيجاني**(ت1230هـ/ 1815م) : مُلمٌّ بالأدب؛ عالم بالأصول والفروع؛ من فقهاء المالكيّة، وُلد في عين ماضي بمدينة الأغواط في الجنوب الجزائري(نويهض، 1980، صفحة 26)، وتنقّل بين الجزائر، والمغرب، وتونس، ومصر، والحجاز؛ لأخذ العلم، ثمّ أسّس طريقة صوفيّة خاصّة به (التّيجانيّة) بالمغرب(تلمساني، 1997-1998، صفحة 56)، وفي عام(1186هـ/1773م) شَدَّ الرِّحال إلى الحَجّ، وفي طريقه مَرَّ بتونس، ومَكث بها سنة كاملةً مُتنقّلًا بين مدينتي تونس، وسوسة؛ قصد التَّعبُّد، والتَّدريس، وأخْذ العلم، ونظرًا للمجالس العِلميّة التي كان يعقدها ذَاعَ صِيتُه، وطَلبهُ باي تونس لِلتَّدريس بجامع الزّيتونة، وخصّص له راتبًا مُغريًا ، غير أنّ أحمد التّيجاني رَفض، وَواصل طريقه إلى الحَجّ، ويُعدّ مُترجِمُنا من العلماء السّاخطين على الحكم العثماني، وهذا ما جعله يخرج من الجزائر، ويُهاجر نحو المغرب سنة(1171هـ/1757م)، فرَارًا بنفسه وبطريقته(تلمساني، 1997-1998، الصفحات 20-74).

-**أبوراس النّاصر المعسكري**(ت1238هـ/1823م): وُلد بنواحي معسكر، من عائلةٍ فقيرة؛ تَتَلمذ على يَدِ شَيخِه عبد القادر المشرفي، ولازَمهُ، وخَدمهُ مُدَّةً من الزَّمن، ثمّ تَولّى التَّدريس مَكانه لستٍّ وثلاثين سنة، وذاع صِيته، حتّى بَلغ طَلبتُه في الحَلْقة سبعمائة وثمانين (780) مُستمعًا، ورَغم ذلك عاش مُتقشّفًا فَقيرًا مُدرّسًا، ومُنكبًّا على التَّأليف(سعيدوني، 1999، صفحة 460).

تَوجه إلى الحَجّ عام(1204هـ/1789م)، والتَقى في طريقه بِعُلماء الجزائر وقسنطينة، وتونس، ومصر، والحرمين، والشّام، وأثناء تَوقُّفِه بتونس أَخَذ عن عُلمائِها الّذين ذَكرهُم في كِتابِه«فتح الإله ومِنَّتِه» الّذي يعتبر سيرةً ذاتيّةً له قائلًا:«سيّدي محمّد

بن قاسم المحجوب عالم "افريقيّة"، وتونس، ...، ومنهم شيخنا مُفتي الحنفيّة بتونس، السّيّد محمّد بَيْرَم ... قرأتُ عليه فِقه أبي حنيفة»(سعيدوني، 1999، الصفحات 51-52)، كما تَوقّف بتونس في السَّنة المُوالية أثناء عودتِه من الحَجّ ، ولمّا سمع بحرب وهران أَسرَع في المَجيء مِن أجل الجِهاد، وألّف في ذلك كِتابه«عجائب الأسفار» الذي أكْملهُ عام(1791م)؛ تَقلّد وظائف الفُتْيا، والقضاء والخطابة بمعسكر، ثمّ عُزل منها عام (1211هـ/1796م)، فتوجّه إلى المغرب الأقصى (سعد الله أ.، 2005، الصفحات 87-88)، حيث اِجتمع بالمولى سليمان في مجلسه العلمي الّذي أَشَاد به قائلًا:«.. وكان مجلسه – نصره الله – لا يخلو من العلم، والعلماء تعليمًا، وتعلُّمًا...»(سعيدوني، 1999، صفحة 106)، ثمّ عاد إلى وطنه، فإذا بفتنة دَرْقاوة، والطّاعون، ثمّ توجّه مرّة ثانية إلى الحجّ عام (1226هـ/1811م)،و أثناء رحلته توقّف بتونس، حيث التقى بعلمائها، وصُلحائها، وتدارسوا، فذكر بعضهم قائلًا:«ثمّ ذهبتُ إلى تونس ... واجتمعتُ بعلمائها، وأجلّة فقهائها.. محمّد بن المحجوب .. وصالح الكواش .. أخونا ... إبراهيم الرّياحي ...»، وقد مدح الرّياحي أبو راس بأبياتٍ شعريّة معبّرًا فيها عن إعجابه به منها:

هذا الإمَامُ«أبُو رَأْسٍ مُحَمَّدُ» مَنْ... سَـارَتْ بِتبْرِيزِهِ فِي الخَلْقِ رُكْبَانُ

فَكَمْ أَفادَ بِتَحْرِيرِـ وَ قَرَّرَمِـنْ... قَوْلٍ وَحَرَّرَ مَنْ بَحْثَ لَهُ شَـانُ

كما يصف إحدى المجالس العِلميّة بِجامعها الأَعظم قائلًا:«... واجتمعتُ مع العلماء بجامعها الأعظم، فتذاكرنا، وتناظرنا، وترافعنا، وتشاجرنا، وتقابضنا في جميع الفنون الدّقيقة، والمسائل المخفيّة، وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كلّه...»، ولَمَّا سَمِعَ بِه حَاكم تونس(حمودة باشا 1782-1814م) اِستدعَاه، وطَرح عليه عِدَّة أسئلة، فَأجَابهُ، فاستحسن ذلك، وأكرمه، ممّا أوقع الحسد في نفوس بعض علماء تونس (سعيدوني، 1999، الصفحات 108-116).

توفيّ أبو راس عام (1238هـ/1822م)، وقد أبّنه صاحب دليل الحيْران بقوله : «... مات مجدّد القرن الثّالث عشر، ذو التآليف العديدة، والتّصانيف المديدة ... العلّامة .. الحافظ أبو راس .. والّذي ليس له نظيرٌ، ولا مثيل...»، اتّصف أبو راس بغزارة العلم، وكَثْرة التّأليف، فقد كتب أكثر من غيره من الجزائريين(سعد الله أ.، 2007، صفحة

180)، ونُسب إليه 137 مصنّفًا في التّاريخ، والأنساب، والأخبار(سعيدوني، 1999، الصفحات 461-462).

**-حمودة بن محمّد المُقَّايسي(ت1245هـ/1829م):**من كِبار فُقَهَاء المَالِكيّة، بمدينة الجزائر، وعُلمائها، مُشاركٌ في عِدَّة علوم؛ تعلّم بالجزائر(نويهض، 1980، صفحة 309)، ثمّ رحل إلى مصر، ولازم جامع الأزهر يَنهلُ من عُلومه على يَد عُلماء أجلّاء أجازوه، وأشادوا بِعلمِه، وأَذِنُوا له بِالتَّدريس بالأزهر، إلى جانب اِنشغَالِه بِتَأليف الكُتب التي بَلغت المائتين، ومع نهاية القرن (12هـ/18م) قَرَّر العودة إلى الجزائر، فَمرَّ بتونس، ومكث بها زمنًا يُقرئُ أهلها، ثمّ رجع إلى مدينة الجزائر، وبَدَل أن يتولّى التَّدريس بِجَامِعها الكبير أصبح يشتغل بحرفة الأجداد( صناعة المقاييس)، وبيعها إلى أن توفيّ فقيرًا بالجزائر(سعد الله أ.، 2007، صفحة 37)، وهذا ما تُؤكِّده روايته قائلًا:«... ولمّا قرأتُ بالأزهر، وحصل القطب بحاشية عبد الحكيم.. وأذِن لي أشياخي... مررتُ بتونس، وأقرأتُ أهلها، وطلبوا منّي الجلوس هناك، ويقومون بما أحتاج، فلم أُرِدْ، إلّا الذّهاب إلى الجزائر، فوجدتُ فيها علماءً أصحاب جاهٍ، وكان في ذلك الوقت لا يسود الأمن يتردّد على أصحاب المملكة، فكنتُ أتَعَيّش بالصَّنْعة، وأكلتُ كتبي ...»(الحفناوي، 1906، الصفحات 140-143).

ويُستنتج من كلامه، أنّه قضى معظم حياته دَارِسًا، ومُدرّسًا بالأزهر، كما دَرّس بجامع الزّيتونة أثناء عودته لِبلاده، لكن بالجزائر اِشتَغل حِرفي، وليس مُدرّسًا؛ لأنّ الوظائف العلميّة كانت حِكرًا على العلماء أصحاب الجاه، فَلِ الله دَرُّك أَيُّها العالم كيف كُنت مُدرّسًا وعالمًا بارزًا بالأزهر والزّيتونة، ثمّ كيف تحوّلتَ إلى حِرفي بسيط ومَجهول في الجزائر.

**3- 3- العوامل السّياسيّة والاقتصاديّة :** كان للظُّروف السّياسيّة هي الأخرى دَور في إرغام عددٍ من علماء الجزائر إلى الهجرة، وكذا من أجل البحث عن وظيفة مُحترمة، ومن بين الّذين هاجروا لهذه الأسباب نجد :

**-أحمد بن عمّار الجزائري(ت1205هـ/1790م):** أديبٌ، رحّالة، فقيهٌ، مُفتي مالكي؛ وُلد مطلع القرن (12هـ/18م) بمدينة الجزائر، وبها دَرَس، وتَوظَّف، وعاصر مُختلف عُلماء وأحداث تلك الفترة، و في عام (116هـ/1753م) أَدَّى فَريضة الحَجّ، والتقى بحسين

الورثيلاني(الورثيلاني، 1974، صفحة 286)، وبقيّ مُجاورًا بِمَكَّة لمُدَّة 12 سنة، ثمّ عاد إلى مدينة الجزائر ، وخلال عام (1180هـ/1766م) كان مُتولّيًا لِخطّة الفتوى بالجزائر، ثمّ أصبح مُدرّسًا بالجامع الكبير، وفي سنة (1195هـ/1781م) رَحل اِبن عمار إلى تونس، بِنيَّة الإستيطان، وكان كبيرًا في السِّنّ، و هناك نَاظَر عُلماء تونس، وألّف بها عملين هما: "رسالة في التّفسير، والأدب"، و كتاب في "التّاريخ" ضَمَّنهُ سِيرة، وآثار باي تونس وَقْتَها "علي باشا بن حسين" (التعليق1) (حَكم بين 1759-1782م)، وهذا ما أَكَّده تِلميذ اِبن عمار بتونس إبراهيم السّيالة(محفوظ، 1985، صفحة 95).

كما يُعتقد أنّه بقيّ بتونس لتسع سنوات؛ لأنّه كتب تقريظًا لصديقه الوزير حمودة بن عبد العزيز (تعليق2) على كتابه الباشي، وهذا التّقريظ مؤرَّخ سنة (1196هـ/ 1782م)(ابن عبد العزيز، 1970، صفحة 19)، وفي سنة(1204هـ/1789م) كان لا يزال بتونس(الكتاني، 1982، صفحة 121) ويُحتمل أنّه غادر ها بعد وفاة الباي علي باشا سنة(1782م)، وصديقه حمودة بن عبد العزيز (حوالي 1788م)، مُتوجّها إلى الحجاز، و منذ سنة (1205هـ/1790م) تنقطع أخبار اِبن عمار، وأَكَّد تلميذه "أبو راس النّاصر" أنّ شَيخه ابن عمار توفيّ بالحرمين الشّريفين(سعد الله أ.، 2007، الصفحات 224-226).

والسّؤال المطروح، ما هي الأسباب التي جعلت ابن عمار يهاجر إلى تونس بنيّة الاستيطان؟ أهيّ ضغوطات سياسيّة أم علميّة من طرف علماء ذلك العصر؟ لأنّه كان مختلفًا عنهم كثيرًا في تفكيره وآرائه وفتواه، وكان محسودًا لعلمه وقلمه واستقلاله في الرّأي، وكان يَنْتقد وبِشِدّة الكثير من العادات الاجتماعيّة والبِد ، وقد احتوى كتابه «نحلة اللّبيب» الكثير من هذه الانتقادات اللّاذعة.

وألّف ابن عمّار عددًا من الكتب خرج فيها عن الحواشي والشّروح، لكن للأسف معظمها مفقود؛ لأنّ صاحبها توفيّ خارج الدِّيّار، وحَمل كُتبه معه أثناء رَحِيله، خاصّة وأَنَّه هَاجر بِنيّة الاستيطان؛ لِذلك حُرمْنا من فوائدها، ومن أهمّها:«لواء النّصر في فضلاء العصر »، وهو في السِّيَّر، أَلَّفهُ في الجزائر، وترجم فيه لأهل مائتي سنة تقريبًا(الكتاني، 1982، صفحة 121)، واِحتمال كبير أنّ تَرجَمتُه لِنفسِه هي الأُخرى ضِمنَهُ،.ومثل هذا المخطوط لو يُعثَر عليه، فإنَّه يَنفُضُ الغُبَار عن تَراجُم الكثير من العلماء، ويفتح نافذة تاريخيّة محلّيّة عن الحياة الثّقافيّة بالجزائر خلال القرن

(12هـ/18م) الّذي عاشه اِبن عمار، وكذا «نِحْلة اللّبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب»، و« تاريخ الباي علي باشا بن حسين» ألّفه في تونس، وهو مُهمّ تاريخيًا، لكنَّه في حُكم المفقود، وكذا«شرْح على البخاري » وغيرها(سعد الله أ.، 2007، الصفحات 224-235).

**-أبو العباس أحمد الثّعالبي الشّريف**: شهير البرانسي، من ذريّة الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي المفسّر؛ دفين الجزائر، وكان عالمًا جليلًا يَمتَهنُ خِياطة البرانيس، توفيّ عام (1197هـ/1783م)(ابن عثمان السنوسي، 1994)(ابن عثمان السنوسي، 1994، صفحة 128)، وذكر بيْرم الثّاني(التونسي)(ت1831م) أَنّهُ تتَلمذ على يَد المُفتِي أبي العباس أحمد الثّعالبي؛ الشّهير ب"البرانسي"(محفوظ، 1985، صفحة 132).

**4- نتائج و انعكاسات هجرة علماء الجزائر نحو تونس :**

كان لهجرة علماء الجزائر إلى تونس نتائجًا ايجابيّة على البلدين، تمثّلت في التواصل و التكامل و التّلاقح الثّقافي، و التّحصيل المعرفي الّذي نتج عنه ترابط ديني و ثقافي شكّل لُحمة قويّة، ترجمت على أرض الواقع في شكل مراسلاتٍ دارت بين علماء الأيالتين من أجل تجديد عهود المودّة والصداقة، وتبادل المعلومات، ومناقشة بعض المسائل العلميّة الغامضة(سعد الله أ.، 2007، صفحة 401) مثل، المباحثات التي وقعت بين الشيخ محمّد بن علي بن سعيد الحجري (ت1785م)(تعليق3) وبين الشيخ عمار الشريف القسنطيني (ت 1825م) -الذي درس بتونس، ثمّ عاد إلى بلده قسنطينة- في مسألة الاستدلال على عرضيّة العقل، وأنّه ضعيف ، وتكرّرت في ذلك عدّة مراسلات بينهما(النيفر، 1996، صفحة 549).

كما دارت مراسلات علميّة بين الوزير التونسي حمودة بن عبد العزيز ( ت 1788م) و بين علماء قسنطينة (عبارة عن ثمانية رسائل)، والتي سألهم فيها حول مسائل في علم الكلام(تعليق4)،(ابن ابي الضياف، 2004، صفحة 22). هذا اضافة إلى المراسلات النثريّة والشعريّة التي تبادلها محمّد بن محمود بن العنابي (ت 1850م ) مع عائلة بيرم المُتنفِّذة في الحياة العلميّة والدينيّة، والسياسيّة بتونس، حيث كانت تجمعهم محبّة وصداقة متينة، و قام ابن العنابي بإجازة أحد أفرادها، وهو محمّد بيرم الرابع إجازة تامّة عام ( 1232 هـ/ 1817م) قائلًا : "أجزتُ الشاب محمّد بن شيخ الإسلام محمّد، ابن شيخ الإسلام، محمّد بكلّ ما تجوز عنّي روايته، كتبه الفقير محمّد بن محمود ابن محمّد بن

حسين الجزائري، ابن العنابي "(سعد الله أ.، 2000، الصفحات 117-120)، وبادله محمد بيرم الرابع بإقراض كتابه – أي ابن العنابي – "شرحُ الدّر المختار" نثرًا وشعرًا عام ( 1245هـ/ 1829م)، واستمرّت العلاقة بينهما لأمدٍ بعيدٍ، حيث أرسل محمّد بيرم الرابع برسالة إلى ابن العنابي – الذي نُفيّ إلى مصر بعد احتلال الجزائر عام (1830م) – يوصيه فيها خيرًا بأحد الطلبة الذي قصد مصر للاستزادة في العلم، وأخبره فيها بأنّه : « ... لولا أنّ أشغال الزمان تعوق عن المرغوب، لنَفَذ إليكم من طرفنا مع كلِّ واردٍ عليكم مكتوبٌ » (سعد الله أ.، 2000، الصفحات 124-127)وهذا إنْ دلَّ على شيء، فإنّما يدُلُّ على قوّة المحبَّة والصداقة التي كانت بين العالِمين – ابن العنابي ومحمّد بيرم الرابع – والتي لم تَفتُر أو تَخفُت، على الرغم من تغيّر الظروف، وتقادم الزَّمان، وما هذه النماذج إلّا صورةً حيّة لذلك التلاحم الأخوي الذي جمع علماء الأيالتين.

أمّا تأثير علماء الجزائر على الصعيدين الثقافي، والسياسي بتونس، فقد تمثّل في عدّة نماذج، نذكر بعضها على سبيل المثال .

عبد الله محمّد الأوراسي سابق الذكر، قد اشتغل مطلع القرن (18م) بالتوثيق والعدالة مُدَّة طويلة بتونس، ثمّ تولّى قضاء محلّة حاكم تونس حسين بن علي ( 1705-1735م) (السّعداوي، 2015، صفحة 101)، كما اعتبر يوسف بن محمّد المصعبي الأب عالم، وممثّل إباضيّة المغرب الإسلامي، وزعيمهم خلال القرن (12هـ/18م)ـ ، ومفتي جزيرة جربة، وكبير عُلمائها ، إضافةً إلى مِهنة التَّدريس التي زاولها بجامع جربة الكبير مُدَّة حياته(بابا عمي و اخرون، 2000، صفحة 492).

ولا نغالي إذا قلنا بأنّ استفادة تونس كانت كبيرة من بقاء العالم أحمد بن عمار الجزائر ( ت 1790م) لحوالي تسع سنوات، والذي رحل إليها عام (1781م) بنيّة الاستيطان، وكان مقرّبًا جدًّا من الوزير حمودة بن عبد العزيز، والباي علي ابن الحسين، وألّف بها عملين هما: "رسالة في التفسير والأدب"، و"كتاب في التاريخ" ضمّنه سيرة، وآثار علي باي( حكم 1759 – 1782م)(سعد الله أ.، 2007، صفحة 226).

كما تُعدّ عائلة "آل الرصّاع" التونسيّة ذات الأصول التلمسانيّة الجزائريّة من أعرق عائلات مدينة تونس خلال العهد العثماني، وحتّى قبله(الوزير السرّاج، 1985، صفحة 287)، حيث استطاعت أن تحتكر مناصب علميّة ودينيّة ردحًا من الزمن، ونبغ منها

نخبة من العلماء الأفذاذ، وهي من العائلات المغاربيّة القليلة التي نجحت في الاندماج والانصهار بالمجتمع التونسي، وتبوّأت مكانةً مرموقة، حتّى أصبحت تمثّل نموذجًا فريدًا من نوعه لإحدى أهمّ "بيوتات العلم" ذات المذهب المالكي، والتي وفّقت وبجدارة في عقد تحالفات ولاء مع السلطة الحاكمة بتونس ولمدّة قرون (من القرن 9هـ/15م إلى القرن 13هـ/19م ) مُتصدِّرًا بذلك سلك القضاء، والإفتاء، والتَّدريس، وعلى مدى أجيال متعاقبة من ذريّتها(جرّاد، 2011، صفحة 274).

أمّا الإنعكاسات السّلبيّة لهذه الهجرة، فهي إفراغ الجزائر من نُخبَتها العلميّة، والّذي شَكَّل إستنزافًا علميًا كبيرًا، وعميقًا عانت منه الجزائر، و هذا ما يقودنا كباحثين ومسؤولين للبحث عن الأسباب الحقيقيّة وراء هذه الهجرة الّتي فضّل أصحابها ترك الوطن والأهل والدِّيّار والإستقرار في بلدان شقيقة، فلماذا كانت الحقبة العثمانيّة بيئة طاردة للعلماء في الجزائر؟، و لماذا نفس الفترة ونفس نظام الحكم عند الجارة تونس شكَّل بيئة جاذبةً لهذه الفئة المهمّة الحسّاسة والقليلة في نفس الوقت إذا ما قورنت بفئاتٍ اجتماعيّة أخرى؟

**-خاتمة:**

على الرغم من أنّ العلاقات السّياسيّة بين الجزائر وتونس كانت في مُجملِها سيّئة خلال القرن (18م ومطلع19م(13/12هـ)،وهذا ما رسَّخته الكتابات التّاريخيّة التّونسيّة المحلّيّة خاصّة والجزائريّة، إلّا أنّ الباحث في العلاقات الثّقافيّة بين الأيالتين يكتشف حقيقة مخالفة تمامًا لذلك الإنطباع الغالب حول التّجاذبات والصّراعات السّياسيّة والعسكرية بين حُكّام الشّقيقتين؛ لذلك وجب علينا إعادة دراسة تاريخنا الحديث(الفترة العثمانيّة) إعتمادًا على المصادر المحلّيّة من جهة، والتّركيز على المنطلقات الثّقافيّة والتّاريخيّة والدّينيّة والاجتماعيّة التي تجمعنا من جهة أخرى، من أجل إستجماع ذلك التّرابط بين أطراف هذا العالم الإسلامي الكبير الّذي عبثت به يد الاستعمار تقزيمًا، و تفتيتًا،و تفريقًا؛ بهدف إضعافه وإحكام السّيطرة عليه.

كما ساهمت كُتب التَّراجم في رسم صورة مُشْرقة للتّبادل العلمي والتّواصل الثّقافي، من خلال تسليط الضّوء على هجرة العلماء الجزائريين الّذين كان مُرحّبٌ بهم في

الأوساط العلميّة والاجتماعيّة وبعض السّياسيّة بتونس، فعدّلت إلى حدٍّ كبير الصّورة القاتمة التي رسمتها الإرادة السّياسيّة والآلة العسكريّة الّتي وجّهها حُكّام الأيالتين صوب بَعضِهما البعض.

أمّا فيما يَخصُّ صِفة الإنحطاط العلمي والثّقافي اللّصيقة بالعهد العثماني، فإنّ النّشاط العلمي لبعض الحواضر مثل، تلمسان فعلًا تقهقر مقارنةً بالفترة الوسيطة التي سبقت العهد العثماني، بسبب عدّة عوامل، على رأسها عدم الاستقرار السّياسي، لكن الفترة العثمانيّة بالجزائر لم تُعدم حظًا من النّشاط العلمي، وبروز عددٍ كبيرٍ من العلماء والفقهاء الّذين تَصدّروا للتّدريس والقضاء والخطابة والإفتاء بالجزائر وخارجها، لكن تلك الشّريحة الاجتماعيّة لم تلق في مُجملها الرّعاية الكافيّة من أجل تشجيعها، عدا بعض المبادرات الفرديّة التي ظهرت أواخر القرن (12ه/18م) على يد بعض البايات مثل، صالح باي بقسنطينة، ومحمّد الكبير في وهران، والوضع كان مُغايرًا تمامًا لمعاملة الحُكّام التّونسيّين للعلماء، و الاهتمام بهم، ورعايتهم، وتقريبهم من مجالسهم، وحَثّهم على التّأليف، وهذا ما حفظ لتونس جزءًا كبيرًا من تاريخها المكتوب على يد مؤرّخين محلّيّين، وإن كان أَغلبُهم كُتّاب بلاط مثل، حسين خوجة، وحمُّودة بن عبد العزيز، وأحمد بن أبي الضياف.

**التعاليق:**

-**التعليق 1** : علي باشا : (ت1782م) بن حسين بن علي سكن الجزائر مع أخويه: محمّد ومحمود لعشرين سنة- كما ذكر صاحب عنوان الأريب- فرارًا من بطش ابن عمّهم علي باي بن محمّد بن علي الّذي انشقّ عن عمّه، وأعلن عليه الحرب، ودخلت تونس في حرب أهليّة في الفترة بين(1735-1740م)، وكانت نتيجتها، مقتل حسين بن علي واعتلاء علي ابن أخيه الحكم، وهذا ما جعل أبناء الحسين (محمّد، علي ومحمود) يلجؤون إلى الجزائر، وخلال إقامتهم بمدنية الجزائر يُحتمل أنّ العالم الجزائري ابن عمار قد التقى بهم، وجمعتهم صداقة قبل أن يتوجّه ابن عمار إلى تونس. أنظر: (النيفر، 1996، صفحة 526).

-**التعليق 2 :** هو الوزير حمودة بن عبد العزيز : (ت1202هـ/1788م)الأديب والفقيه والمؤرّخ، ورئيس ديوان الإنشاء زمن علي باي بن حسين بن علي، ومربّي أبنائه، واستعان به في تدبير شؤون دولته، وبعثه سفيرًا عنه إلى قسنطينة والجزائر في بعض الأغراض السّياسيّة كما دارت بينه وبين علماء قسنطينة مراسلات علميّة- أنظر:(محفوظ، 1985، الصفحات 331-333).

-**التعليق3:** محمّد الحجري (ت 1199هـ/1785م)أديب، شاعر، و نحوي، أصوله من قرى المنستير،انتقل به أبوه للعاصمة صغيرًا، حيث درس بجامع الزيتونة، توفيّ الحجري يافعًا بسب الطاعون الجارف(النيفر، 1996، صفحة 549).

-**التعليق4:** علم الكلام هو، علم التوحيد المؤدّي إلى معرفة الله(سعد الله أ.، 2007، صفحة 95).

**قائمة المصادروالمراجع:**

-أحمد السّعداوي. (2015). **تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا 1705-1756 "وثائق أوقاف من العهد الحسيني"**. ط1: الشركة التونسية للنشر.

-ابن بابا عمّي موسى محمّد. (2000). **معجم أعلام الإباضيّة من القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحديث "قسم المغرب الإسلامي"**. (مج) (ط2): دار الغرب الإسلامي.

-بن يوسف تلمساني. (1997). **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر" الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الإستعمارية 1728-1900"**. رسالة ماجستير. الجزائر: جامعة الجزائر.

-حسّان حلاّق. (1986). **مقدّمة في مناهج البحث التّاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق**. دار النهضة العربية للنشر والطباعة.

-حسين الورثيلاني. (1974). **نزهة الأنظارفي فضل علم التاريخ والأخبار** .( تح: محمد بن عمر شنب). (ط2): دار الكتاب العربي.

-حسين خوجة. (د.ت). **ذيل كتاب بشائر أهل الايمان في فتوحات آل عثمان"فقهاء وعلماء من تونس.** مكتبة الثقافة الدينية.

-حنفي هلايلي. (2015). العلماء والأولياء في تلمسان الزّيّانيّة في ضوء بُغية الروّاد. **الحوار المتوسطي**. 08.

-السعيد محمّد. (2016). العلماء والفقهاء في الجزائر بين اضطهاد ونفي منظومة الحكم السعدي والعلوي في المغرب. 07.(26): **عصور الجديدة**.

-ابن أبي الضياف أحمد. (2004). **تأليف تح لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، إتحاف أهل الزمان بأخبارملوك تونس وعهد الأمان** . (مج4) (ج7) (ط2): الدار العربية للكتاب – تونس.

- ابن عبد العزيز، حمودة. (1970). تأليف تح محمد ماظور، **الكتاب الباشي ، قسم السيرة** ، ج1. تونس: الدار التونسية للنشر.

- ابن عثمان السنوسي محمد. (1994). تأليف تح شاذلي النيفر محمد، **مسامرات الظريف بحسن التعريف.** (ج2) (ط2) : دار الغرب الإسلامي - بيروت.

- عبد الرزاق ابن حمادوش. (1983). **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمّاة " سان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال "** (تح : أبو القاسم سعد الله). المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

- عادل نويهض. (1980). **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**. مؤسسة نويهض الثقافية.

- أبو الفضل جمال الدين مجد بن مكرة ابن منظور. ((دت)). **لسان العرب : أدب الحوزة**. (ج5): (د.د.ن).

- أبو القاسم سعد الله. ((2007ت)). **تاريخ الجزائر الثقافي**. (ج2): دار البصائر.

-. (2003 ب). **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**. (ط1): دار الغرب الإسلامي.

- (2005). **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**. دار الغرب الإسلامي.

- (2007). **تاريخ الجزائر الثقافي** (المجلد 2). الجزائر: دار البصائر.

- (2000). **تأليف رائد التجديد الإسلامي محمّد بن العنابي المتوفي 1850 صاحب كتب السعي المحمود في نظام الجنود**. (ط2): دار الغرب الإسلامي - بيروت.

- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. (1960). **أسس البلاغة**. د.ب: دار ومطابع الشعب.

- أبو القاسم محمّد الحفناوي. (1906). **تعريف الخلف برجال السلف**. مطبعة بيرفونتانة الشرقية.

- الكتاني عبد الحي. (1982). تأليف اعتناء إحسان عباس، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. (ج1): دار الغرب الإسلامي .

- محفوظ محمد. (1985). **تراجم المؤلفين التونسيين**. طبعة1.

- محمّد ابن مخلوف محمّد. (1930). **شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**. المطبعة السلفية ومتبتها.

- محمّد النيفر. (1996). **عنوان الأريب عمّا نشأ بالبلاد التّونسيّة من عالم أديب**-تذيل علي نيفر. (ج1) (ط1): دار الغرب الإسلامي.

- محمد بن محمّد الأندلسي الوزير السرّاج. (1985). **الحلّل السّندسية في الأخبار التّونسيّة**. ( تح: محمّد حبيب الهيلة). (مج3) (ط1): دار الغرب الإسلامي.

- مولاي بالحميسي. (1979). **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- المهدي جراد. (2011). **تأليف عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني (1705-1881)**. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - تونس ، وحدة البحث "التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" تونس .

- ناصر الدين سعيدوني. (1999). **من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الاسلامي "تراجم مؤلّفين ورحّالة جغرافيين"**. ط1: دار الغرب الإسلامي.